

تحت ظلال التوت

أو

ساعة في السيف

بقلم : الأستاذ نجيب . م . ع

هناك تقيم البساطة ؛ ويستولي سلطانها على النفوس

هناك تقيم الحرية المطلقة التي يشدها قلب الوجد البائس
فلا قلب يضطرم تحت ذلك السماء الصافي ؛ والافق الجميل العاري
من ثياب الغيوم السوداء ، التي تبعثها شرور البشر الى سماء
النفوس الشاعرة .

هناك تحمل السذاجة ، سذاجة قلب الصبي في قلب الفلاح
وفنائه ، فيتمتع بالحرية المطلقة تحت ظلال التوت والصفصاف ؛
وان كانت جراحات كفيه ، تشير الى جراحات قلبه من اتعاب
هذه الحياة الناسية ؛ ويستظل تحت ذلك السماء الصافي ، ويكحل
طرفه بزرقة الافق العاري ، وان نشبت مخالب الاستبداد في قلبه
فان كل ذلك يتضاءل امام شرر الشرور الذي يرمي به التفتش
الكاذب قلوب البائسين .

هناك كلما يتطلبه قلب البائس من متع الحياة الجميلة ، وبساطة
العيش اللذيذة التي شاعها الطبيعة لروح الشاعر عند ما انغمس على
ساحل الوجود ، واكتفى سلطات عليه تلك الشرور ؛ فسامته
سوء العذاب ، فكانت جنابة لها عليه ، تصغر ازاءها اعظم جنابة
فر ذلك الروح الشاعر من مخالب الشقاء ، وانياب البؤس
والعناء ، ريثما يضمد جراحاته تحت ظلال التوت ؛ تحت سماء الحرية
حرة الارياض بمتع الحياة البسيطة ، والجمال الساذج ، والروح
الشاعر يقرأ في ذلك أسطراً ؛ لم يهتد اليها سواه ، يقرأ في ذلك
طهارة السرائر ونزاهة القلوب ، وعفة الضمائر ، وفي الجمال
الساذج اسطر الافتتان ؛ وسوراً من كتاب الصباية ، كما يقرأ
اسطر اللوعة ؛ وماهي إلا لوعة الفراق .

اخذ ذلك الروح بمتع طرفه بزرقة الافق العاري ؛ وقد القت

٢٥٥

الشمس عليه ثوب النضار ، بما كسته من اذيال السحب الذهبية
قبيل الغروب ، وقدمت تلك الاذيال كلها في الارض من جبال ،
وسفوح ، واودية ؛ زرواني ؛ كما القت ثوب النضار على الاعشاب
والحقول يشبه انعكاس اشعة الشمس الوردية ؛ بالوان زاهية على
مازان وجه الارض .

رأيت طفلة الفلاح ترعي ماشية أبيها ، ورأيت فتاة الفلاح
جاءت تحمل لشقيقها عصورها (١) فاستقبلتها الطفلة باسمه ،
تسائلها عن أبيها ؛ هل أتى لها ثوب الديد ؛ وعيد الاضحى قد
اظلت أيامه ، فاعتذرت الفتاة لاختها بان اليوم يوم السقي ؛ وذهب
ابوك ليسقي مزرعته ؛ وفي الغد يسكن الى السوق . ليأتيك ثوب
العيد ، فازعجت الطفلة ، وكيف يكون الجمال الساذج حين يكرهه
الانزعاج ؟ ! . لم يزد القلوب الا افتتاناً به .

اخذت الفتاة تمهون على شقيقها ما كانت تنظره بعين السخط ؛
لان أبيها اخلف معياده لها ، اما الفتاة فقد استعظمت غيظ
شقيقها ، وما استطاعت كتمان ما حل بها من الحزن لحزن الطفلة ،
بل ظهر اثر ذلك على قسبات وجهها ؛ وما هو الا امثلة للجمال الساذج ،
وقد زاده ذلك الا انزعاج روعة وفننة ؛ فهم القلب في تلك الساعة
لا يدري ؟ ! . ولم تطل لحظاته اليه .

والجمال الساذج فاجأه ذلك الجمال الساذج بالهيام ، والى اين المصير
وماذا يحوط به ؟ فلا يحوط به الا جمال الافق ، وجمال الطبيعة ،
في الانسان ، وكل منها باعث للهيام ؛ فكيف اذا احاط بالقلب
الشاعر كل مافي العالم من جمال رائع جذاب ؟ ! اهنيئ تراه يملك
عواطفه عن الهيام في اودية ذلك الجمال ؛ ولكن هيامه لم يكن
حائلاً عن العطف على ذلك القلب الصغير وعلى ما زرت عليه ازرار
تلك الفتاة ، ولم تزو الاعلى قلب مثال السذاجة .

لم يكن للروح الشاعر في تلك الساعة غاية الا ان يقترب من
ذلك القلب الصغير الذي كتبت عليه الاقدار ان يكابد اتعاب الحياة
ولما يجتاز دور الطفولة ، لعله أن يرفع مافي سماء نفسها من غيوم
الكآبة ؛ ويبدلها بانوار السرور .

— فلما اقتربت منها ؛ قلت من أبوك ؟ ياطفلي العزيزة !

— أبي فلان

(١) يقابله الفطور عند الصباح ؛ وهي أكلة اعتاد الاطفال عليها

— واين هو الآن ؟

— في المزرعة ولا يأتي الابد الغروب بساعة

— هل يأتي الى ديوان الزعيم ليرتاح قليلاً ويشرب القهوة؟

— لا يا عم! لم يذهب لأنه لم يأت الاوقواه خائفة من الالام

التي يكابدوها من عمله الشاق .

— يا طفلي ! الغالية ، لقد اوصاني ابوك منذ ايام بأن اشتري

لك بما تزدان به الاطفال في العيد ؛ واخرجت لها منديلاً كنت

احمله معي ؛ وقلت لها : ها هو المندبل نخذه ، اخذته الطفلة وهي

باسمة ابتسامة لم تزد جمالها الساذج الاثقتونا ، ولهذا الابتسامة

مفعول آخر في قلب شقيقتهما الفتاة ؛ هو تدري الانكسار

والكابة عنه .

ولقد احبت ان أقف على بواحي ما حنى بقلب الفتاة فقلت

لها : اراك قد ساهمت هذه الطفلة في كآبتها وسرورها ؛

ولماذا ؟ .

قالت (يا عم ! ان هذه اختي ، وقد ماتت أمنا ايام ولادتها ،

وانا التي قتت بتريتها ، فكنت لها أمّاً وشقيقة كما تراني) وهذا

كلما أنعماء ، ولم اتحنى الا أن احوّل كآبتها الى سرور ، وأراني

في تلك الساعة سعيداً لاني ادخلت على الصغيرة المحبوبة التي شامت

لها الاقدار القاسية ، أن تفجعها بأمرها الحنون ولما تمض ايام

ولادتها ، كما كتبت عليها الحياة أن تزيقها مرارة الحسوف ولما

تقضى دور الطفولة ، الذي يجب أن تقتله مع اترابها في اللهو

واللعب ، بل خضت قلبها الصغير بقسط من اتمامها ، لتمتص دمه

في خدمة مواشي ايها ، وتقدم الحياة نتاج اتمابه طعمة لذوي

السيادة عليه ، وللعبودية حقوق يجب رعايتها . ولكن اسياده

لم يحفلوا بهذا الواجب ، مع ما هو مورد حياتهم ؛ ومصدر سعادتهم

: زيننا قلبي بين عاملين ، عامل الفتون بما احاط به من الجمال

الساذج وعامل الأمل لذلك القلب الصغير الذي مارحمته الاقدار لصغره

اذ سمعت غناء الرعاة وما ابدع ذلك الوقت ، فقد سقط قرص

ووزغ آخر مكانه ، واذا بالالسحب بعد لم تذهب حمرة الذهبية ،

والنسيم الليليل يحكي قلب الواجد الذي أذاقته الحياة صاب الفراق

ورقة واعتلالا ، وحفيف الاوراق وغناء السواقي والرعاة ؛ تشكل

نفحات موسيقية متنوعة ، تيقظ القلب السالي الى حبيبته ؛ فكيف

بالقلب الشاعر مع ما مثل امامه كل مافي العالم من جمال ساذج ؟ !

وهو لم يعرف السلوان ، ولم يدرك أخلق ام بعد لم يخلق السلوان ؟

تراه يمثل الجنون بكل او ضاعه واطواره لفتونه بحبيبته ، ونزوعه

في تلك الآونة الى رؤياه .

وتراه يردد في داخله ، ما خلق الانسان الا ليهوى وليعشق ،

واذا لم يكن لقلبه شعوره واحساسه لم يعرف معبوده ، وهل له

معبود غير الجمال ؟ فكيف يتعرف بمعبوده اذا كان يمثل الحيوان

بعقليته ، والجماد باحاسنه ؛ واذا مثل الحيوان والجماد لم تذوق

متع الحياة البسيطة تحت سماء الحرية المطلقة ، تحت ظلال التوت

وبين الارياض ، كما هو لم يشعر بشرو السرور المتطاير من مدينة

الاموات ، ولم يدرك قلب تفتك به في كل شروق شمس وغروب

شمس ؛ لم يقترب أية جريمة لها غير ان شعوره له واحساسه ،

واراني سعيداً في هذه لبعدي عن مدينة الاموات ؛ وما اشقى من

يضطرم صدره تحت سماءها ! ! ! .

البيان : العدد ١٠ التاريخ ١٥ / ١١ / ٩٤٦

اعلن

كل من يدعى بحق او له علاقة بارض الدار وابنيها ذات ت

١٨٩٩ الكائنة في محلة براق الأمير غازي في النجف البالغة

مساحتها ٧٠/٩٣ متراً مربعاً المحدودة « الشمال الشرقي دار الحاج

عباس بن فليح ت ١٨٩٧ الشمال الغربي طريق العام وتم بدار

تحت ادعاء حنه بنت خوعة ت ٣٠٠٢ الجنوب الغربي الدار المذكورة

ت ٣٠٠٢ وتم بدار يوسف بن جبر ت ١٩٠١ الجنوب الشرقي

دار تحت ادعاء محمد ت ١٩٠٠ عليه ان يراجع هذه الدائرة

مستصحباً ما لديه من الاوراق المثبتة والمستمسكات الرسمية من

تأريخه لمرور ثلاثين يوماً والا ستسجل الدار المذكورة تفويضاً

وتصحيحاً باسم صاحبة المنشئات العراقية زكية بنت طاهر بن

حمود ولاجله بادرنا باعلان الكيفية . ٢٤ / ١٠ / ٤٦

٣-٢

مامور طابو النجف